البحث شبه التجريبي: مقدمة، تعريف، خصائص، مميزات، ومقارنة بالبحث التجريبي

يُمثل البحث شبه التجريبي منهجًا بحثيًا حيويًا يقع بين البحث الوصفي والبحث التجريبي الكامل. يلجأ إليه الباحثون عندما يتعذر تطبيق المنهج التجريبي الصارم، الذي يتطلب تحكمًا كاملاً وتوزيعًا عشوائيًا للمشاركين، وذلك لأسباب أخلاقية، أو قانونية، أو لوجستية. يهدف هذا المنهج إلى دراسة العلاقات السببية بين المتغيرات في البيئات الطبيعية، مثل المدارس، المستشفيات، أو المجتمعات، حيث تكون الظروف أكثر واقعية وأقل قابلية للتحكم الكامل، مما يجعله أداة قيمة لفهم الظواهر المعقدة في سياقاتها الحقيقية.

تعريف البحث شبه التجريبي

يمكن تعريف البحث شبه التجريبي بأنه تصميم بحثي يهدف إلى تحديد أثر متغير مستقل على متغير تابع، ولكنه يفتقر إلى أحد أو بعض الشروط الأساسية للتجربة الحقيقية، وأبرزها التوزيع العشوائي للمشاركين على المجموعات التجريبية والضابطة. يعتمد الباحث في هذا المنهج على مجموعات موجودة مسبقًا أو طبيعية، ويقوم بتطبيق المعالجة (المتغير المستقل) على إحدى هذه المجموعات ومقارنتها بمجموعة أخرى لم تتلقَ المعالجة، مع محاولة التحكم في المتغيرات الدخيلة قدر الإمكان.

خصائص البحث شبه التجريبي

يتميز البحث شبه التجريبي بعدة خصائص تميزه عن المناهج الأخرى:

١- **غياب التوزيع العشوائي:** تُعد هذه الخاصية هي الفارق الجوهري بين البحث شبه التجريبي والبحث التجريبي الحقيقي. ففي البحث شبه التجريبي، لا يتم توزيع الأفراد عشوائيًا على المجموعات، بل يتم التعامل مع مجموعات قائمة بذاتها.

٢- **الواقعية العالية:** يُجرى البحث شبه التجريبي غالبًا في بيئات طبيعية وحقيقية، مما يزيد من الصدق الخارجي للنتائج وقابليتها للتعميم على مواقف مشابهة في الحياة اليومية.

٣- **التحكم الجزئي:** على الرغم من عدم وجود تحكم كامل، يحاول الباحث ممارسة نوع من التحكم في المتغير المستقل والظروف المحيطة بالدراسة قدر الإمكان، لتقليل تأثير المتغيرات الدخيلة.

٤- **دراسة العلاقات السببية:** يسعى البحث شبه التجريبي إلى إثبات وجود علاقة سبب ونتيجة بين المتغيرات، وإن كان مستوى اليقين في هذه العلاقات أقل مقارنة بالبحث التجريبي بسبب غياب العشوائية.

مميزات البحث شبه التجريبي

يقدم البحث شبه التجريبي العديد من المزايا التي تجعله خيارًا مناسبًا في سياقات بحثية معينة:

١- **الملاءمة الأخلاقية والعملية:** يسمح هذا المنهج بدراسة ظواهر قد يكون من غير الأخلاقي أو غير العملي إخضاعها لتجارب مخبرية صارمة، مثل تأثير برامج تعليمية جديدة أو تدخلات صحية على مجموعات سكانية معينة.

٢- **الصدق الخارجي القوي:** نظرًا لإجرائه في بيئات واقعية، تكون نتائج البحث شبه التجريبي أكثر قابلية للتعميم على السكان والظروف الحقيقية، مما يعزز من فائدتها التطبيقية.

٣- **الجدوى العملية:** يسهل تنفيذ البحث شبه التجريبي في المؤسسات والمنظمات القائمة دون الحاجة إلى تغييرات جذرية في الهياكل أو الإجراءات، مما يجعله خيارًا عمليًا للعديد من الدراسات التطبيقية.

٤- **أقل تكلفة وتعقيدًا:** غالبًا ما يكون البحث شبه التجريبي أقل تكلفة وأقل تعقيدًا من حيث التصميم والتنفيذ مقارنة بالبحوث التجريبية التي تتطلب موارد كبيرة للتحكم الصارم.